التوحيد منهج حياة

المشرف العام

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ﴾ جملة منهجيه أجراها الله على لسان جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، فما بعث الله رسولًا إلا بها ولأجلها، ولقد وضع الأنبياء أيديهم على سائر أمراض المجتمع، إلا أنهم فعلوا ذلك انطلاقًا من هذه القاعدة: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ﴾.

وباختصار شديد قرر الله تعالى هذه الحقيقة؛ فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

إذًا؛ فالدعوة إلى التوحيد هي الأساس الذي انطلق منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لإصلاح جميع أشكال الفساد في مجتمعاتهم، وذلك لما أوحى الله لهم من البدء بالعقيدة وتصحيحها، لأن كل أشكال الفساد سوف تكون ما هي إلا أعراض لفساد المعتقد، ولا بد للطبيب الحاذق أن ينظر في أصل المرض للقضاء نهائيًا على أعراضه.

ومن هنا؛ فإن تقييم كل دعوة والحكم على نسبة موافقتها للحق يكون بمعيار اهتمامها بالتوحيد، وكذا الأمر على مستوى الدعاة، فالداعية الناجح المصلح حقًّا هو الذي يولي أساس الدين الذي هو توحيد الله تعالى أكبر الاهتمام والجهد، ولقد برهن التاريخ أن الدعوة للتوحيد وإن شقت على الناس؛ لكثرة المخالف إلا أنها

أنفع وأدوم، فشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ مات منذ سبعة قرون ولم يزل آلاف المسلمين يهرعون إلى كتبه التي اختص أكثرها ببيان العقيدة السليمة، والشيخ محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ قامت دعوته على العقيدة الصحيحة ولم يزل الناس يرجعون إلى كتاب التوحيد ويتحفون به، ويحفظونه في الصدور، ويدرس في حلقات العلم وقاعات الدراسة.

وقد انقرضت دعوات ليس لكونها لم تكن تريد الإصلاح، أو لم تسع إليه، وإنما لكونها لم تسلك طريق الأنبياء والمرسلين، الذي أول معالمه الدعوة إلى توحيد الله تعالى.

والتوحيد ليس علمًا نظريًا لا أثر له في الواقع، بل هو الذي يحرك الحياة؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

أول المسلمين؛ أي: أول المنقادين

«من حقق التوحيد والاستغفار؛ فلابد أن يرفع عنه الشر؛ فلهذا قال ذو النون: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين».
ابن تيمية

لله في جميع شؤون الحياة، وفي كافة مجالاتها، وبهذا يكون التوحيد هو المحرك لحياتنا الخاصة والعامة وفي جميع شؤوننا، وقد ذكروا أن أحد الأخيار أراد أن يظهر لبعض تلاميذه فضل أحدهم، فأعطى كل واحد منهم دجاجة، وقال: ليذهب كل واحد منكم مكانًا لا يراك فيه أحد فاذبحها، فذهب كل واحد منهم، وعاد بالدجاجة مذبوحة؛ إلا ذلك الطالب النجيب جاء ودجاجته تصيح في يده، فلما سأله لم لم تذبحها؟ قال: لم أجد مكانًا لا يراني فيه الأحد الصمد لأذبحها فيه!

فالتوحيد هو الذي يبلغ بالعبد درجة الإحسان: فيعبد الله كأنه يراه، ويراقب الله تعالى في تعامله مع الخلق،

السلفية

السلفية

ويخشى الله تعالى في خلواته، وهذا غاية الإصلاح الذي ينشده الدعاة.

والتوحيد هو الموجه للمجتمع قاطبة، فهو الذي يرشد الإمام للسير على ما يرضي الله ويصلح الرعية، قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

فهل من منهج أصلح من منهج الأنبياء؛ فالتوحيد أساس دعوة الأنبياء؟

وهل من غاية لمصلح أعظم من استقامة شؤون المجتمع على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة؟

والتوحيد حقيق بتحقيق ذلك الهدف، فهل يستقيم بعد هذا أن يختار معشر الدعاة والمصلحين طريقًا او يتبعوا منهجًا سواه.

قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«صدق التأهب للقاء الله من أنفع ما للعبد وأبلغه في حصول استقامته؛ فإن من استعد للقاء الله انقطع قلبه عن الدنيا، وما فيها ومطالبها، وخمدت من نفسه نيران الشهوات، وأخبت قلبه إلى الله، وعكفت همته على الله، وعلى محبته، وإيثار مرضاته، واستحدثت همة أخرى، وعلومًا أخر، وولد ولادة أخرى تكون نسبة قلبه فيها إلى الدار الآخرة كنسبة جسمه إلى هذه الدار بعد أن كان في بطن أمه، فيولد قلبه ولادة حقيقية كما ولد جسمه حقيقة.

وكما كان بطن أمه حجابًا لجسمه عن هذه الدار؛ فهكذا نفسه وهواه حجاب لقلبه عن الدار الآخرة؛ فخروج قلبه عن نفسه بارزًا إلى الدار الآخرة كخروج جسمه عن بطن أمه بارزًا إلى هذه الدار.

والمقصود أن صدق التأهب؛ هو: مفتاح جميع الأعمال الصالحة، والأحوال الإيمانية، ومقامات السالكين إلى الله، ومنازل السائرين إليه، من اليقظة، والتوبة، والإنابة، والمحبة، والرجاء، والخشية، والتفويض، والتسليم، وسائر أعمال القلوب والجوارح؛ فمفتاح ذلك كله صدق التأهب والاستعداد للقاء الله، والمفتاح بيد الفتاح العليم، لا إله غيره، ولا رب سواه».

«طريق الهجرتين» (ص ٢٩٧).